



إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

يناير ٢٠٢١ م

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات

الولادة من الروح القدس

قال القديس أنطونيوس الكبير أبو الرهبان: "إن الروح الذي يحل على المعمودية المقدسة هو يحل على شكل الرهبنة ويظهر الذي يصير راهباً".^٩ لقد حث القديس أنطونيوس تلاميذه باستمرار على قبول هذا الروح الناري قائلاً لهم: "يا أبنائي الأحباء، أصلي ألا يكون ذلك أمراً شاقاً عليكم ومضجراً لكم أن تحبوا بعضكم البعض. ارفعوا جسدكم الذي ترتدونه، واجعلوا منه مذبحاً، وضعوا عليه أفكاركم، واتركوا هناك كل مشورة ردية أمام الرب، وارفعوا أيادي قلوبكم نحوه الذي هو الخالق، وصلوا إلى الله لكي يمنحكم ناره العظيمة غير المنظورة حتى تنزل من السماء وتحرق المذبح وكل ما عليه وكل كهنة البعل، فتخاف وتهرب أعمال العدو المضادة من أمام وجوهكم كما من أمام وجه إيليا النبي. عندئذ سوف ترون سحابة "مثل كف إنسان" فوق البحر، سوف تجلب لكم المطر الروحاني الذي هو تعزية الروح المعزي، وسوف ترون إنسانكم الداخلي متجدداً طالعاً من النبع الإلهي. هذا الروح الناري العظيم الذي قبلته أنا أقبوله أنتم أيضاً، و إذا أردتم أن تنالوه و يسكن فيكم فقدموا أولاً أعاب الجسد وتواضع القلب، و ارفعوا أفكاركم إلى السماء ليلاً ونهاراً، واطلبوا بكل قلبكم هذا الروح الناري القدوس وحينئذ يُعطي لكم، لأنه هكذا حصل عليه إيليا التشبي و أليشع و جميع الأنبياء الآخرين...!! و لا تفكروا في قلوبكم وتكونوا ذوي قلوبين وتقولوا "من يستطيع أن يقبل هذا؟"!! فلا تدعوا هذه الأفكار أن تدخل إلي عقولكم، بل اطلبوا باستقامة قلب وأنتم تقبلوه... وأنا أبوكم أجتهد معكم و أصلي لأجلكم لكي تقبلوه، لأنني أعلم أنكم قد جحدم ذاتكم لكي تستطيعوا أن تقبلوه، لأن كل من يفلح ذاته بهذه الفلاحة في كل جيل فإنه ينال نفس الروح، الذي يسكن في المستقيمي القلوب، وأنا أشهد لكم إنكم تطلبون الله بقلب مستقيم، فداوموا باجتهاد من كل قلوبكم فإنه سيعطي لكم".^{١٠}

أي شرف لنا نحن الرهبان أن نولد ثانية وأن نقبل نفس الروح القدس واهب الطهارة من خلال الرهبنة. يحث القديس بولس أهل غلاطية قائلاً: "أبعدما ابتدأتم بالروح تكملون الآن بالجسد؟ أهذا المقدار احتملتكم عبثاً؟ إن كان عبثاً". إن إجابتنا نحن الرهبان على هذه الأسئلة هي "لا"، سوف نكمل في الروح وليس في الجسد لأننا إذ اعتمدنا في المسيح لبسنا المسيح. نحن نعلم أن الجسد يحارب ضد الروح والروح ضد الجسد. "وإنما أقول: اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد. لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر، حتى تفعلون ما لا تريدون. ولكن إذا انقذتم بالروح فليستم تحت الناموس. وأعمال الجسد ظاهرة، التي هي: زنى، عهارة، نجاسة، دعارة، عبادة الأوثان، سحر، عداوة، خصام، غيرة، سخط، تحزب، شقاق، بدعة، حسد، قتل، سكر، بطر، وأمثال هذه التي أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت أيضاً: إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله. وأما ثمر الروح فهو: محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف. ضد أمثال هذه ليس ناموس. ولكن

٩. وصية من طقس إقامة الراهب
١٠. رسائل القديس أنطونيوس - الرسالة الثامنة

الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات. إن كنا نعيش بالروح، فلنسلك أيضا بحسب الروح. لا نكن معجبين نغاضب بعضنا بعضاً، ونحسد بعضنا بعضاً" (غل ٥: ١٦-٢٦).

"لأن النفس التي تتمتع بامتياز الاشتراك في روح ونور الله وتتشرب بأشعة جمال مجده غير الموصوف. وهو الذي هيأها لتكون كرسياً ومسكناً له. فإنها تصير كلها نوراً وكلها عيناً! ولا يكون فيها جزء غير مملوء بعيون النور الروحانية. أي ليس فيها جزء مظلماً بل تصير بكليتها نوراً وروحاً، وتمتلئ كلها عيوناً، فلا يكون لها جزء خلفي بل في كل اتجاه يكون وجهها إلى الأمام بواسطة الجمال الذي يفوق التعبير الذي لمجد نور المسيح الجالس والراكب عليها. وكما أن الشمس هي بكليتها ذات شبه واحد، بدون أي جزء من الخلف أو من أسفل، بل هي مكسوة بالنور من كل ناحية، وهي بالحقيقة كلها نور، بدون اختلاف بين أجزائها، أو كما أن النار، أي نفس نور النار، هي متشابهة كلها، وليس فيها أول أو آخر، أو أكبر أو أصغر، هكذا أيضاً النفس التي تتشبع تماماً بالجمال الذي لا يُوصف، جمال مجد نور وجه المسيح. وتكون في شركة تامة مع الروح القدس وتنال الامتياز بأن تكون محل سكن الله وعرشاً له، فإنها تصير كلها عيناً، وكلها نوراً، وكلها وجهاً، وكلها مجداً، وكلها روحاً....

لو كنت إذأ قد صرت عرشاً لله، وقائد المركبة السماوية أجلس نفسه داخلك، وتحولت نفسك بالكلية إلى عين روحية، وصارت نوراً؛ ولو كنت أنت أيضاً تتغذى بالطعام السماوي الذي لهذا الروح وتشرب من ماء لبحياة وترتدي الرداء السري للنور، لو كان كيانك الداخلي قد اختبر كل هذه الأمور وثبت في غنى الإيمان غير المتزعزع، فإنك تحيا في الحياة الأبدية، ونفسك تستريح مع المسيح حتى في هذا الوقت الحاضر"^{١١}.

"المسيحيون الكاملون الذين حسبوا أهلاً للوصول إلى مقاييس الكمال والالتصاق جداً بالملك (المسيح)، هؤلاء يكرسون أنفسهم دائماً لصليب المسيح. وكما كانت المسحة في أيام الانبياء هي أئمن من جميع الأشياء - إذ أن المسحة جعلتهم ملوكاً وأنبياءً، هكذا الأشخاص الروحيون الآن، الذين يمسخون بالمسحة السماوية فإنهم يصيرون مسحاء بحسب النعمة، فيكونون هم أيضاً ملوكاً وأنبياءً للأسرار السماوية. هؤلاء هم أبناء وأرباب وآلهة، مأسورون ومستعبدون لنعمة الله، ومستغرقون في العمق، مصلوبون ومكرسون. فإن كانت مسحة الزيت، التي استخرجت من نبات مادي - من شجرة منظورة لها كل هذه القوة، حتى أن أولئك الذين مسحوا بها، نالوا كرامة فوق كل اعتبار - فإنه هكذا كانت القاعدة الثابتة التي بها يعينون ملكاً، فداود مثلاً بعد أن مسح، وقع في الحال في اضطهاد وآلام، ثم بعد سبع سنوات صار ملكاً - فكم بالحري جداً كل الذين يمسخون في العقل والإنسان الباطن بدهن البهجة (عب ١ : ٩) الذي يقدر ويبهج، الدهن السماوي الروحاني، ينالون علامة ذلك الملكوت الذي لا يفنى، والقوة الأبدية، عربون الروح (٢ كو ٥ : ٥)، أي الروح القدس المعزي. وهو يسمى المعزي لأنه يعزي أولئك الذين في الشدائد"^{١٢}.

"عندما كان ربنا يتحدث مع نيقوديموس قال له: "الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله. المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح. لا اعجب أني قلت لك ينبغي أن تولدوا من فوق. الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب. هكذا كل من ولد من الروح" (يو ٣: ٥-٨). "لقد قبلتم الروح القدس خلال المعمودية، ولم تعودوا بعد غرباء عن المصلوب! لكن صارت لكم

١١ . عظات القديس مقاريوس - العظة الأولى
١٢ . عظات القديس مقاريوس - العظة السابعة عشر

النصرة والغلبة على الأعداء. أما السقوط والضعف فهذا مجرد استثناء. لقد اكتسبتم طبيعة جديدة وقوية حيث تكونون قادرين بالمصلوب على إخضاع كل قوى الظلمة"^{١٣}.

كان الروح القدس في العهد القديم يقود الناس من خلال السير معهم أما الآن فنحن أبناء النور. الروح القدس لا يسير معنا فقط بل يسكن فينا، ويقودنا، ويعزينا، ويعيننا في ضعفاتنا، ويتشفع فينا، ويعطينا حكمة وفهماً. "الجبيل قفزت مثل الكباش والأكام مثل حملان الغنم" (مز ١١٤: ٤). فلنبتهج لأننا مولودون من الروح القدس. تقول إحدى الصلوات التي تتلى أثناء المعمودية: "إقبل الروح القدس... إقبل روح الله الذي يملأك من المسرة. يسوع المسيح ابن الله الأب يملأك قوة ونعمة أيها الطفل المبارك الذي نال العماد الطاهر. إقبل الروح المعزي والبركة السمائية من قِبَل مسحة الميرون المقدس أيها الطفل المبارك. إقبل الرحمة والرجاء والإيمان والنعمة من قِبَل المسيح الوحيد أيها الطفل المبارك. إقبل روح الفرح من قِبَل الملك المسلط. إقبل روح التهليل عند إلهنا عمانوئيل والخاتم غير المنحل أيها الطفل المبارك. إقبل الروح المملوء مجداً من عند المسيح ملك المجد. نلت نعمة وبركة من عند ربنا يسوع المسيح. صرت مسكناً للروح القدس". ألا ينبغي أن نقفز فرحاً. دعونا نقبل تلك الحقيقة أننا خُتمنا بالروح القدس لأن الله صنع من قلوبنا وأجسادنا مسكناً للروح القدس: "ولكن لنا هذا الكنز في أوانٍ خزفية ليكون فضل القوة لله لا منا" (٢ كو ٤: ٧). أثناء المعمودية يقول الكاهن: "مسحة نعمة الروح القدس. آمين. مسحة عربون ملكوت السموات. آمين. دهن شركة الحياة الأبدية غير المائتة. آمين. مسحة مقدسة للمسيح إلهنا، وخاتم لا ينحل. بمين. كمال نعمة الروح القدس، ودرع الإيمان والحق. آمين. تكون مباركاً ببركات السمائيين وبركات الملائكة. يباركك الرب يسوع المسيح، وبإسمه إقبل الروح القدس، وكن إناءً طاهراً من قِبَل يسوع المسيح ربنا". الولادة من الروح القدس تعني لباس عدم الفساد ونعمة البنوة. إننا نصبح شركاء في الحياة الأبدية وعدم الموت تماماً مثلما وعد ربنا يسوع المسيح أننا لو ولدنا من الماء والروح نصبح قادرين على دخول ملكوت السموات. دعونا لا نحزن الروح القدس، ولا نطفئ الروح القدس. دعونا لا نقاوم الروح القدس. من أجل ذلك عندما نسقط في الخطية أو أي من أعمال الجسد فإننا نفقد سلامنا ونشعر بأننا مثقلون مما يعني أن الروح القدس يعمل فينا محاولاً أن يخبرنا أننا قد تحررنا فكيف نعود للعبودية ثانية. كل ما ينبغي علينا فعله هو أن ننصت للروح القدس ونتوب ولا نقاومه عندما يدعونا لتصحيح طريقنا. صدقوني إنها نعمة من الله أن نفقد سلامنا عندما نسقط لئلا نبقي في سقطتنا ولكي نعلم أننا لن نستعيد سلامنا إلا في الله.

" فإذا أيها الإخوة نحن مديونون ليس للجسد لنعيش حسب الجسد. لأنه إن عشتم حسب الجسد فستمتوتون، ولكن إن كنتم بالروح تميون أعمال الجسد فستحيون. لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله. إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ: "يا أبا الأب". الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح. إن كنا نتألم معه لكي تتمجد أيضاً معه" (رو ٨: ١٧-١٢).

"فالذي يأتي إلى الرب يلزمه أولاً أن يغضب نفسه إلى ما هو صالح حتى لو كان ضد ميل قلبه، منتظراً دائماً رحمة الرب بإيمان لا يتزعزع. ويغضب نفسه إلى المحبة حينما تنقصه المحبة، ويغضب نفسه إلى الوداعة حينما لا تكون عنده وداعة، ويغضب نفسه إلى الشفقة إلى أن يكون له قلب حنون - وأن يغضب نفسه على تحمل الأذراء وأن

١٣ . الأنبا شنودة رئيس المتوحدين (الروح القدس والصليب)

يحتمله بصبر، وحينما يحتقر أو يعير، فلا يغضب، كما هو مكتوب "ولا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء" (رو ١٢ : ١٩) - وليغضب نفسه إلى الصلاة حينما لا تكون له الصلاة الروحانية، وهكذا إذ يراه الله مجاهداً وغاصباً نفسه بالرغم من معارضة قلبه، فانه يهب له صلاة الروح الحقيقية وينعم عليه بالمحبة الحقيقية، والوداعة وأحشاء الرؤفات والشفقة الحقيقية، وباختصار فانه يملأه بثمار الروح"^{١٤}.

"لقد طُحنا معاً مثل حبوب الحنطة تحت الرحى. ثم أتت علينا مياه المعمودية وامتزجنا معاً مثل الخبز، ولكن كمثل خبز بدون نار. لقد أتت النار بواسطة مسحة الميرون التي هي تثبيت الروح القدس. الروح القدس الذي حل مثل ألسنة نار في يوم الخمسين، هذا الروح بعينه يحثنا على المحبة، ويجعلنا ملتهمين بها من أجل الله، ويحثنا على احتقار هذا العالم. تلك النار (نار الروح القدس) تأتي بعد الماء فنصبح خبزاً، أي جسد المسيح، وهذا يجعلكم تتحدون ببعضكم البعض"^{١٥}.

يجعلنا الروح القدس نقف أمام ربنا يسوع المسيح المتواضع فنصبح متواضعين، إنه يجعلنا نقف أمام النور الحقيقي فنصبح نوراً للعالم، ويجعلنا نقف أمام القدوس فنصبح مقدسين، ويجعلنا نقف أمام الرب يسوع المسيح الطاهر البتول ويجعلنا بتولين. إننا نحتاج لأن نخلي ذاتنا ونتوب ونتضع حتى يعمل الروح القدس فينا لأن "القلب المنكسر والمتواضع لا يردله الله".

"لأن الدموع التي تسكب حقاً من حزن كثير وكآبة قلب وبمعرفة للحق واحتراق في الداخل، إنما هي طعام للنفس يأتها من الخبز السماوي الذي سبقت مريم وأخذت منه حينما جلست عند قدمي الرب وبكت بحسب ما شهد لها المخلص نفسه. فإنه قال: لقد اختارت مريم النصيب الصالح الذي لن ينزع منها" (لو ١٠ : ٤٢). فما أضمن تلك الدرر، التي تتساقط مع انسكاب وفيض الدموع المغبوطة! وبالتلك الاستجابة الفورية والإنصات المستمر!، وأي عقل قوي حكيم!، ويا لشدة روح الرب، التي تتحرك بقوة نحو العريس الذي بلا عيب!، وأي رغبة شديدة وشوق في النفس إلى الله الكلمة!، وأي شركة حميمة للعروس مع العريس السماوي! فتمثل بها إذن يا ابني، اقتد بتلك التي ثبتت عينها عليه وحده، ذلك الذي قال "جئت لألقي ناراً على الأرض ولا أريد إلا اضطرامها" (لو ١٢ : ٤٩). فهناك اشتعال للروح، هو الذي يشعل القلوب ناراً. فان النار الالهية غير المادية لها فاعلية لإنارة النفوس وتمحيصها كما يمتحن الذهب النقي بنار البوتقة. ولكنها (النار الالهية) تحرق كل شر مثل الأشواك والقيود "لأن إلهنا نار أكلة" (عب ١٢ : ٢٩) "معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله، في نار لهيب، وللذين لا يطيعون إنجيله" (٢ تس ١ : ٨). وهذه النار هي التي عملت في الرسل حينما تكلموا بألسنة نارية (أع ٢ : ٢٥). هذه النار هي التي أحاطت ببولس بالصوت الذي أنار عقله ولكنها أعمت بصره (أع ٩ : ٣). فلم تكن رؤيته لقوة ذلك النور بدون الجسد. هذه النار ظهرت لموسى في العليقة، وهذه النار، في شكل مركبة هي التي اختطفت إيليا من الأرض (٢ مل ٤ : ١١). وداود المبارك كان يطلب فاعلية هذه النار حينما قال "امتحنني يارب، وجربني محص كليتي وقلبي" (مز ٢٦ : ٢). هذه النار هي التي ألهمت قلب كليوباس ورفيقه حينما تكلم المخلص معهم بعد القيامة. والملائكة والأرواح الخادمة تأخذ من لمعان هذه النار كما هو مكتوب "الصانع ملائكته أرواحاً وخدامه ناراً ملتهبة" (عب ١ : ٧). وهذه النار هي التي تحرق الخشبة التي في العين الداخلية، لتجعل العقل نقياً، حتى إذا استرد قوة رؤيته الطبيعية، يمكنه أن يتفرد بلا انقطاع في عجائب الله كما هو مكتوب "افتح عيني، لكي أبصر

^{١٤} . عظات القديس مقاريوس - العظة التاسعة عشر
^{١٥} . القديس أوغسطينوس

عجائب من شريعتك" (مز ١١٩ : ١٨). هذه النار أيضاً تطرد الشياطين، وتنزع الخطايا، ولها قوة القيامة، وفاعلية قوة الخلود، وهي نور النفوس المقدسة، وسند القوات العاقلة. فلنصل ولننسى أن تأتي إلينا أيضاً هذه النار، حتى يسيرنا دائماً في النور، فإننا، لا تعثر بحجر أقدامنا" (مز ٩١ : ١٢) ولا إلى لحظة واحدة، بل "نضيء كأنوار في العالم" "ممسكين بكلمة الحياة الأبدية" (في ٢ : ١٥)، حتى إذا تنعمنا بخيرات الله بين قديسيه، فإننا نجد راحة مع الرب في الحياة، ممجدين الأب والابن والروح القدس الذي له المجد إلى الأبد أمين" ١٦.